التطوّر الدلالي للفظة "النار" في شعر عبدالرحيم محمود

د. ناصر زارع أستاذ مساعد

د. رسول بلاوي أستاذ مساعد

فاطمه محمّدي ماجستيرة فرع اللغة العربية وآدابها

The semantic development of the word "fire" in the poetry of ʿAbd-al Rahiīm Mahmūd

Dr. Nasser Zaria Assistant Professor
Dr. Rasul Balawi Assistant Professor
Fatima Mohammadi, MA, Department of Arabic Language and it`s Literature

Semantic development is concerned with languages and their development in society. Although poets are parts of this society, they used words according to their living conditions and current circumstances. One of the poets who used the languages to represent their military lives is ʿAbd-al Rahiīm Mahmūd, a revolutionary poet who confronting injustice raised his voice against the invaders and the tyrants. He did not stop writing about them with all strength and roughness. His poetry is characterized by enthusiasm and revolution in terms of the meaning of languages, especially the word "fire" which used the poet with it`s extraordinary power to express his excited sensations. In this research we embarked on Semantic development of the word "fire" in the poems of ʿAbd-al Rahiīm Mahmūd using descriptive-analytical method. The purpose of this research is to reveal the extent to which the life of the poet has influenced the semantic development of the word "fire", so that has become one of the most prominent words which has a leading role in the poetry of resistance
and thus made the poems of the poet more enthusiastic and strong in performance.

Keywords: Semantic Development, Palestine, ʿAbd-al Rahiīm Mahmūd, Fire.

L'évolution sémantique du mot "Al Nar…le feu" dans la poésie d'Abdel Rahim Mahmoud

Prof. adjoint .D: Nasser Zare'e …
Prof. adjoint .D: Rasul Balawi…
Fatima Mohammadi: Magistère, Département de langue et littérature arabes...

L'évolution sémantique s'intéresse aux langues et leur évolution dans la société, bien que les poètes sont une partie de cette société, ils ont utilisé les mots en fonction de leurs conditions de vie et les circonstances actuelles, et l'un de ces poètes qui ont utilisé la langue pour dépeindre leur vie de guerre est Abdul Al-Rahim Mahmoud, qui un poète révolutionnaire élevant sa voix contre la tyrannie des envahisseurs, il n'arrête d'écrire sur eux avec toute sa force. Ses poèmes sont caractérisés par l'enthousiasme et la révolution en termes de sens des langues, en particulier le mot « feu …Al Nar…» que le poète l'a utilisé par sa force surnaturelle pour démontrer ses sentiments expansif. Nous avons parlé dans cette recherche à l'évolution sémantique du mot « feu » dans les poèmes d'Abdul Rahim Mahmoud, en se fondant sur l'approche descriptive – analytique, et le but de cette achèvement est de révéler l'influence de la vie du poète dans l'évolution sémantique du mot « feu » où ce mot est devenu l'un des mots les plus importants dans la poésie de la résistance et a donc rendu les textes du poète plus enthousiastes et performants.

<u>Mots-clés:</u> évolution sémantique, Palestine, Abdul Rahim Mahmoud, le feu.

بسم الله الرحمن الرحيم

الملخّص

التطوّر الدلالي يهتمّ باللغات وتطوّرها في المجتمع، ومع أنّ الشعراء جزء من هذا المجتمع فقد استخدموا الألفاظ وفقاً لحياتهم المعيشيّة وظروفهم الراهنة؛ وأحد هؤلاء الشعراء الذين استعانوا باللغات ليصوّروا حياتهم الحربية، هو عبد الرحيم محمود فهو شاعر ثوري ومجابه للظلم يرتفع صوته في وجه الغزاة الطغاة ولايهدأ حتى أن يكتب عنهم بكلّ قوّة وخشونة، ونرى أشعاره تتميّز بالحماسة والثورة من حيث معنى اللغات لا سيّما كلمة "النار" التي استعان الشاعر بقوّتها الخارقة لبيان أحاسيسه الجيّاشة. لقد تطرّقنا في هذا البحث إلى التطوّر الدلالي للفظة "النار" في أشعار عبد الرحيم محمود معتمدين على المنهج الوصفي – التحليلي.والهدف من انجاز هذا البحث هو الكشف عن مدى تأثير حياة الشاعر في التطوّر الدلالي لكلمة "النار" حيث أصبحت هذه الكلمة من أبرز الكلمات التي لها دور ريادي في شعر المقاومة وهكذا جعلت نصوص الشاعر أكثر حماساً وقوّة في الأداء.

الكلمات المفتاحية: التطوّر الدلالي، فلسطين، عبدالرحيم محمود، النار.

مقدمة

إنّ اللغة مرآة المجتمع وتعكس كلّ الحوادث والتطوّرات التي تجري فيه، فكلّما تقدّمت المجتمعات وإزداد رقيها وتنوّعت مظاهر الحياة الاجتماعية، تنوّعت المصطلحات الجديدة المعبّرة عن مظاهر الحياة الجديدة. حتّى جاء علم الدلالة وقام بدراسة الكلمات في المجتمعات والتطورات الثقافية والاقتصادية والفكرية التي طرأت عليها وجعلت دلالة الكلمة تتغيّر وتتطوّر. وإنّ التطوّر الدلالي يزيح الستائر عن مدى تغيير دلالة الكلمات من القديم حتّى الزمان الراهن. شعراء المقاومة لترسيم أحاسيسهم الثورية والحماسية يستخدمون كلمات مشحونة بالقوّة والحماس وإحدى هذه الكلمات المكرّرة في نتاجاتهم الشعرية هي مفردة "النار" لأنّ لها قدرة خارقة في التعبير عن الدلالات الايجابية والسلبية في الشعر. وعلى هذا النمط نرى عبدالرحيم محمود الشاعر الثوري يقوم باستخدام كلمة "النار" ليعبّر عن حياته الشخصية والنضاليّة.

إنّ هذه الدراسة تسعى لتكشف عن مدى تأثير حياته الخاصة في دلالة "النار" وترسيم ملامح المقاومة. كان الشاعر يبتغي من وراء تلك المبالغة في توظيف كلمة "النار"، التعبير عن الروح الثورية التي تخيّم على الشاعر. المنهج الذي اعتمدنا عليه في هذا البحث هو المنهج الوصفي- الداخلي، وهكذا حاولنا فيه التقاط التطوّر الدلاليّ لكلمة "النار" في نصوص الشاعر، وذلك عبر اختيار مقاطع شعريّة حضرت فيها الكلمة أو إحدى مشتقاتها، إضافة إلى تحليل البنية اللغويّة وبعض الظواهر الإسلوبيّة المستخدمة في هذه المقاطع حتّى تبين الروح النضالية والحماسية التي تكمن وراء لفظ "النار".

البحوث التي كُتِبت حول تجربة هذا الشاعر نذكر منها: كتاب عنوانه «الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود» لجابر قميحة، هذا الكتاب كُتِب حول حياة الشاعر الشخصية وعن المناسبات التي كتب أشعاره فيها، ورسالة لنيل درجة الماجستير تحت عنوان «الصيغ الصرفية ودلالاتها في ديوان عبدالرحيم محمود» للكاتبة حنان جميل عابد بجامعة الأزهر – غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، هذه

الرسالة كانت حول الأفعال وصيغها المختلفة، ورسالة أخرى موسومة بـ«اللغة في شعر عبدالرحيم محمود» لجمال عبدالرحيم محمّد بجامعة النجاح، كُتبت عن لغة الشاعر في اشعاره.

ولكن البحث الذي نحن بصدد هو لدراسة تطور كلمة النار في شعر عبد الرحيم محمود، وهو موضوع غير مطروق من قبل. والذي دفعنا إلى اختيار هذا الموضوع هو أنّ عبد الرحيم شاعر المقاومة وللألفاظ لاسيّما لفظ "النار" تأثير بارز على شعره في تصوير حياته الشخصية والحربية وترسيم الأحزان كما أنّ لفظ "النار" يعمّ شعره وله اهمية بارزة لافتة للانتباه، وهو لم يدرس مسبقاً.

أسئلة البحث

- لماذا ألحّ عبد الرحيم على استخدام كلمة "النار" في شعره كثيراً؟
- ماهي الحقول الدلاليّة الخاصّة بالنار التي تمحورت عليها رؤية عبدالرحيم محمود؟

الشاعر وترجمته

الشاعر الذي نحن بصدد ترجمته ودراسة شعره «هو عبد الرحيم محمود بن عبد الحليم بن الشيخ عبدالله، ولد في أحد أيّام الربيع من سنة ١٩١٣م في قرية عنبتا[١]»[٢]. عاش طفولته عند والديه. وكان من صغره يحب العلم والدين وهذا جعله يقبل على قراءة القرآن الكريم واهتم بحفظه. ولقّب بأبي الطيب لأنّ ابنه الأكبر كان اسمه طيب. عبدالرحيم «تلقّى تعليمه الإبتدائي في مدرسة القرية ثمّ انتقل إلى طولكرم ودرس فيها المرحلة الاستعدادية (الثانوية) المتوسطة في مدرستها لمدة أربع سنوات»[٣].

---

(١) عنبتا: بلدة فلسطينية تُعتبر من أكبر بلدات طولكرم، وتنقسم إلى قسمين: البلدة القديمة والأخرى الحديثة.

(٢) أبوشمّالة، فايز صالح، على صهوة الشعر مع الشاعر الفارس الشهيد عبدالرحيم محمود، خانيونس التجاريّة، (٢٠٠٣م)، (ص٤٣).

(٣) أبو مازن، محمد عبدالقادر، شهداء فلسطين، (ط١)،عمان الأردن: دار الفرقان، (١٩٩٠م)، (ص٢٧٠).

ومن خصائص الشاعر أنّ الجهاد والمقاومة يظهران بشكل دقيق وحاسم في حياته فلا يمكن أن نقرأ هذه الحياة بعيداً عن جهاده ومقاومته لأنّ حياته وجهاده مُزجا معاً حيث يصعب علينا أن نفرّق بينهما، كما أنّ آراء الشاعر وأفكاره تتجلّى في شعره، وشعره يوحي بأنّه شاعر فارس أبيّ وعلى وعي من السياسة. ومع أنّه لبث سنين في العراق لكنّه «عاد إلى وطنه سنة ١٩٤١م، وقد عاش وهو يحمل روحه على راحته-كما يقول- وبإحساس غيبي شفيف عاش يتغزّل في الاستشهاد، ويتعاطف مع صوت الموت والفداء»(١). ثمّ «في شهر نيسان عام١٩٤٨م عُيّن آمراً للانضباط في مدينة طولكرم، وظلّ يناضل حتّى وافاه الأجل المحتوم في معركة الشجرة التي دارت رحاها أمام قرية الشجرة في الثالث عشر من تموز عام ١٩٤٨م ملبّياً نداء وطنه وهو يردّد الأبيات الاتية:

إحملوني إحملوني إحذروا أن تتركوني
يا فلسطين وداعاً خالصاً من كلّ

الأنساق الدلاليّة لدالّ "النار" في شعر عبدالرحيم محمود

«التطوّر الدلالي فرع من فروع علم الدلالة، يهتمّ بما يعتور الكلمة من تغير في معناها، مما يساعد الباحث في فهم التطوّر الحاصل في اللغة»(٣). وأحمد محمّد قدور يأتي ويبيّن حدود هذا العلم ويقول: «ومجال هذا العلم دراسة المعنى اللغوي على صعيدي المفردات والتراكيب، وإن كان المفهوم السائد هو اقتصار علم الدلالة على دراسة المفردات، وما يتعلّق بها من مسائل»(٤).

(١) قميحة، جابر، الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود: ملحمة الكلمة والدم، (ط١)، القاهرة: كلية الألسن-جامعة عين الشمس، (١٩٨٦م)، (صص ٧٠).

(٢) محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (ط١)، دمشق: دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٨٨م)، (ص٣٠).

(٣) عيسى، فوزي، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، (ط ١)، الإسكندرية: دار المعرفة، (٢٠٠٨م)، (ص٢٣٥).

(٤) محمد قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، (ط ٣)، دمشق: دار الفكر، (٢٠٠٨)، (ص٣٣٧).

لـــمّا كانت اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي عرضة للتّطور في مختلف عناصـــرها: أصواتها، وتراكيبها، ودلالاتها، لأنّ اللغة من منظار أكثر النقّاد كائن حي يتغير مع تغيير المجتمع والحوادث التي تطرأ عليه وهكذا تؤثّر اللغة في المجتمع، كما قـــال محمّد حسن جبل: «التغيير الدلالي هو التغيير التدريجي الذي يصيب دلالات الألفاظ بمرور الزمن، وتبدّل الحياة الإنسانية، فينقلها من طور إلى طور آخر»[١]. وإذا نحن قمنا بدراسة اللغات سنرى التغييرات التي طرأت على ألفاظها من القديم حتّى هـــذا العصر، اذ أصبحت اللغات تختلف مع شكلها الذي كانت عليه في الماضي.

الأسباب المذكورة آنفاً، أدّت إلى تمحور رؤية عبدالرحيم الخاصّة بالنار داخـــل الأقطاب التالية "اليتم، الحرب، الغربة والحبّ والشوق إلى الوطن، الظلم الناتج عن الاستبداد والاستعمار". وكانت تلك الأقطاب قد منحته إحساساً خاصّـــاً يشـــير إلـــى تجربة الشاعر في صراعه مع اليتم والحرب والظلم والغربة التي عاناها عبد الرحيم في حياته والشوق للرجوع إلى وطنه، وهذه الأمور التي سبّبت له أزمة نفسيّة حادّة، أدّت إلى جملة من تطوّرات دلاليّة أصابت كلمة "النار" في شعره بعضـــها إيجابيّـــة وأخرى سلبيّة، فإنّه رأى في النار "الشجاعة والقوّة والحب والحنين إلى الوطن".كما نرى رفض الحرب وويلاتها والحزن الذي أتى إثر حياته النضالية. وهكذا نلاحـــظ هذه الرؤية بالنسبة إلى تداول كلمة "النار" شكّلت ثنائيات ضدّية حاول عبدالرحيم أن يلمّ بجميع الأبعاد الدلاليّة التي تنطوي عليها هذه الكلمة في النصّ. يمكن اســـتقرار هذه الدلالات على قسمين: قسم خاصّ بالرؤية الإيجابيّة والآخر بالرؤية السلبيّة.

الدلالات الإيجابية

تتمحور رؤية عبدالرحيم الإيجابيّة الخاصّة بالنار داخل الأقطاب الاتيـــة؛ القـــوّة والشجاعة للوصول إلى الحريّة، والشوق والولع بالوطن تحـــت صـــواريخ العـــدو

(١) جبل، عبد الكريم محمّد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، (لا ط)، دار الجامعية، (١٩٩٧)، (ص ٣٣).

والحبّ من أجل الحياة، وما إلى ذلك حيث رأى في النار علامات إمكان الحياة في المستقبل تتراصف أمام عينيه في حالة خيّم اليأس على أفكاره.

القدرة والشجاعة

المطلوب من الشعراء أن يشحنوا روح الحماسة في نفوس الشعب «إنّ الشاعر ثائر وإنّ الشعر ينبغي أن تكون له رسالة تجسّد الدعوة إلى الثورة التي يقودها الشعر الملتزم والكلمة الملتزمة الثائرة»(١). ولكن الشاب الفلسطيني دون أَية كلمة أضاف سطوراً جديدة من البطولة إلى صفحات البطولات في العالم برمّته، وجعل لغة الأفعال هي التي تتحدّث في زمن لم يجدِ الكلام شيئاً، وقلما يوجد مكان في العالم المعاصر يتعانق فيه الفعل بالكلمة كما يحدث في فلسطين حيث صنعت أروع الملاحم والبطولات على أيدي الشباب.

وعبد الرحيم شاعر وطني، رأى من قريب الحرب ولهذا يدعو الشعب إلى الاتّكاء على أنفسهم واستخدام الشجاعة والقدرة اللتين تكمنان في نفوسهم كما جاء في الأبيات الاتية:

ما حكّ جلدك مثل ظفرك يا يا حرّ لا تتصبّك الأوهام

إصهر بنارك غلّ عنقك وعلى الجماجم تركز

إنّ الشاعر يرى أنّ الطريق الوحيدة للوصول إلى الحريّة هي إتّكاء الشخص على نفسه دون أن يعوّل على غيره، كما استخدم عبدالرحيم هذا المثل في المصرع الأوّل "ما حكّ جلدك مثل ظفرك" لكي يؤيّد كلامه بهذا المثل السائر لدى العامة. الشاعر في هذين البيتين يريد إطراح الأوهام جانباً والإمساك بالقوّة والواقع. ولكن الدلالة

(١) ضيغمي، علي وآخرون، «ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر الربيع بوشامة»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها (فصلية محكمة)، العدد الواحد والثلاثون، (٢٠١٤م)، (ص٧).

(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٣٨).

الكامنة في لفظة "النار" في هذا السياق هي القوّة والشجاعة اللتينِ يتوقعهما الشاعر من الشعب. وقد أتى بفعل الأمر في بداية البيت الثاني حتّى يظهر روحه المتحمّسة المندفعة للدفاع عن كرامة الشعب كما قال قميحة: فإنّ عبدالرحيم «أصدق الشعراء فنّاً وحياة لمن تعرفه بديوانه، وتعرفه لديوانه»[١]. وهذا السياق من الحياة جعل عبدالرحيم ينظر إلى النار ككتلة من القدرة والقوّة في نفوس الشعب الفلسطيني ويريد إطلاق هذه القوّة لدحر الأعداء.

والشاعر يدعو كل أطياف الوطن ولاسيّما الشباب لسحق الأعداء، لأنّهم حرّاس البلد كما يقول:

غامر فإنّي قد رأيت زّ يحرمه هبوبه
إنّ الشباب لظى يحرّ ق دوحة العادي
والعاصف السفساع قبة الباغي هبوبه[٢]

في هذه الأبيات استخدم الشاعر عبد الرحيم حشداً من كلمات تتّصف بالقوّة والقدرة والاستبسال كـ"لظى، يحرّق، العاصف، السفساع، يهدم" كي يخلق جوّاً حماسياً مليئاً بالأمل والتفاعل بغية الوصول إلى القدرة الحقيقية وهي "النار". والشاعر شبّه الشباب بلظى النار في القدرة والشجاعة لكي يحرّضهم للحضور في ساحات القتال. وإنّ لم يصرّح الشاعر بلفظة "النار" بشكل مباشر إلّا أنّه أشار إليها في أكثر من كلمة.

الحبّ والشوق إلى الوطن

الإنسان عندما يعشق شيئا يبذل كل ما لديه حتى يبقى هذا الحبّ قائماً، ويحاول أن يفعل كلّ شيء حتى تصبح أحبال هذا الحبّ أشدّ فتلاً، وعندما تكون الحبيبة هي الأرض لا يمكن لأيّ أمرٍ أن يمزّق أحبال هذا الحبّ. وإنّ حبّ الوطن يعترف به

(١) قميحة، الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود: ملحمة الكلمة والدم، (ص٧٧).
(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٦٤).

كلّ شخص ولاسيّما الشعراء لأنّ إحساسهم أكثر غلياناً بالنسبة إلى الإنسان العادي وهكذا «لا يمكننا بأي من الأحوال أن نفصل مسألة الوطن والوطنية عمّا تشكّله هذه المسألة من عمق وجداني وشعور عاطفي يتّصل بالجوانب المحمية لدى كل إنسان وتتناغم العاطفة مع الفعل لتشكّل حالة سامية من الحبّ فإنّ حبّ الوطن والدفاع عنه والحنين إليه جزء طبيعي من حياة الإنسان»(١). وعلى الخصوص عندما يكون الشاعر في الغربة كما هو حال عبدالرحيم محمود حيث يقول في هذا الصدى:

تلك أوطاني وهذا رَسْمُها في سويداء فؤادي مُحْتَفَر
تتراءى لي على بهجتها حيثما قلّبت في الكون
في ضياء الشمس في نور في النسيم العذب في ثغر
في خرير الجدول الصافي صخب النهر وأمواج
في هَتونِ الدمع من هَولِ في لهيب الشوق في قلبي

الشاعر لايرى بلده قطعة من أرض في مكان بعيد بل يراه قريباً محفوراً ومنقوشاً في أوتار قلبه ويراه في كل مكان وفي كل شيء، في النسيم العذب وضياء الشمس وصوت الماء وأمواج البحر، وأينما ينظر يرى وطنه وهو يشتاق إلى أحضانه وهذه الأحاسيس انتابته عندما «اضطره تعقب سلطات الانتداب البريطاني للثوار إلى بلاد العراق وبقي هناك ثلاث سنوات»(٣). إنّ الشاعر يشبّه شوقه وحبّه إلى وطنه كحرارة النار التي لا تنطفئ إلّا بالرجوع إلى وطنه.

(١) محفوظ، محمّد، الواقع العربي وتحديات المرحلة الراهنة، (لا ط)، بيروت: دار الشرق الثقافة، (٢٠٠٣م)، (ص٢١).
(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٥٥).
(٣) سعيد، جميل، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، بحث مقدّم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس، بغداد، (١٩٦٥م)، (ص٣).

إنّ الشاعر في هذه الأبيات يتّخذ بؤرة حرف جر «في» لكى يكشف حرقته وحبه إلى الوطن وإنّه يسكب حبّه إلى الوطن في كلّ التفاصيل المحيطة به، مهما كانت صغيرة، ومن هنا حرف الجرّ «في» يصبح أداة فاعلة في ضمّ جزئيات المعنى وتوحيدها، فالشعر في حقيقة معناه «هندسة حروف وأصوات وتعمّر بها في نفوس الآخرين عالماً يشبه عالمنا الداخلي، والشعراء مهندسون ولكلّ منهم طريقته في بناء الحروف وتعميرها»(١). هذا الحرف في النهاية يصل إلى النار ولهيبها ويظهر شدّة هذا الحبّ والشوق الذي يكمن في نفس الشاعر. وفي سياق الحديث عن الحرب طالما نرى لفظ "النار" يوحي بشدّة المحبة وتوهّجها.

إنّ عبدالرحيم لايستطيع أن يعيش بعيداً عن وطنه فقد ذاق مرارة الغربة واكتوى بنارها، وحنّ إلى وطنه. لقد ظهر شوقه إلى وطنه هكذا:

يا بلادي يا منى قلبي تسلمي لي أنت فالدنيا هدر
لا أرى الجنّة إن وهي خلو منك إلا كسقر
منيتي في غربتي قبل أن أملي من مجاليك النظر
ظمئت نفسي لمغناك يطفئ الحرقة بالعود

إنّ الشاعر عن طريق الحديث مع وطنه يريد أن يظهر حنينه وشوقه إليه وهو يخاطب بلاده كأنّها شخصٌ واقفٌ أمامه ويستمع إلى كلامه المبطّن بالحزن. فأمله الوحيد أن يرى وطنه مرة أخرى حتى يشبع منه، ويكشف عن نار قلبه ولهفته لشدّة شوقه للمس تراب الوطن. ويرجّح العيش تحت نيران الحرب بدلاً أن يكون في مكان هادئ ولايرى وطنه، فكل هذا ناتج عن حبه وحنينه لتراب الوطن. والحنين «ظاهرة إنسانية عامة لاينفرد بها جيل دون جيل، وهي موجودة منذ أن وطئ

(١) قبّاني، نزار، الشعر قنديل أخضر، (ط٢)، بيروت: منشورات المكتب التجاري، (١٩٦٤م)، (٣٩).

(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٥٥).

الإنسان هذه الأرض وبدأ طريق المعاناة»[١].

يستخدم عبدالرحيم هنا أسلوب الاستفهام الإنكاري لأنّه يعرف ما الذي يطفئ حرقته وهو العودة إلى وطنه فيسأل ويطلب من القدر الرجوع إلى الماضي حتّى يرجع إلى وطنه ويرجع إلى أيام الهناء. و«كان قلبه يتدفّق بالحنين إلى أرضه الحبيبة فلسطين ليواصل الجهاد المسلّح مرّة أخرى، فصورة وطنه محفورة في سويداء قلبه تتراءى له في كل شيء»[٢]. إنّ الشاعر استخدم مرادفات لفظ "النار" كالسقر والحرقة حتّى يظهر شدة شوقه وحنينه وحبّه الذي يتّصف به هذا الشاعر الثوري.

الدلالات السلبية

قام عبدالرحيم بتوظيف دالّ "النار" توظيفاً رمزيّا سلبيّاً يقابل الوجه الأوّل؛ حيث تبدّلت قدرة النار إلى قدرة التخريب وأنّها «تتقبّل كلتا القيمتين المتضادتين: الخير والشر. تتألّق في الفردوس وتستعر في الجحيم. عذوبة وعذبة»[٣]. وتجد قدرة النار عند عبدالرحيم بمعنى الحرب، والدمار، والحزن، واليأس، وجفاف المحبّة وسلب الحريّة، إنّها صور مكبوحة، مقطوعة السبل لا أمل في انتعاشها وهي لم تكن إلّا نتيجة للظروف التي مرّ بها عبدالرحيم محمود، وتشير إلى تجربة الشاعر في صراعه مع تنّين الحرب، والمعاناة التي جاءت إزاء القتال والظلم الذي عاناه الشاعر من قبل أعداء الوطن في حياته.

---

(١) ابن رمضان، فيروز، الغربة والحنين في شعر سليمان عازم، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تخصص الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، كليّة الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة وآدابها، (٢٠٠٥م)، (ص١١٠).

(٢) جميل عابد، حنان، الصيغ الصرفيّة ودلالاتها في ديوان عبدالرحيم محمود، دراسة وصفية متطلب تكميلي لنيل درجة ماجستير في العلوم اللغويّة، جامعة الأزهر-غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية-العلوم اللغوية، (٢٠١١م)، (ص٨).

(٣) بشلار، غاستون، النار في التحليل النفسي؛ ترجمة نهاد خياطة، (ط١)، بيروت: دار الأندلس، (١٩٨٤م)، (ص١١).

الحرب

إنّ الحرب من الأحداث التي إذا نزلت بشعب هدّمته وسحقته وإنّها كمرض مهلك إذا لم يتعالج بسرعة يقتل الشخص، فالحرب «هي عبارة عن تفاعل بين اثنين أو أكثر من القوى المتعارضة التي لديها صراع في الرغبات حول السيادة والأراضي والمصادر الطبيعية أو الدين أو الأيدلوجيات»(١). وإنّ الشاعر عبدالرحيم كان رجل الوطن فقد حمل طوال حياته معول الهدم لكي يهدّم صرح الأعداء الغاصبين، ولكن مع هذا كلّه، كان يكره الحرب ويدعو إلى التمسّك الكلام والتفاوض بدل إراقة الدم فيقول:

فخذوا الكلام أيا أحبّة لفظ اللظى من في حشاه

حفى اللسان وجفّت الأقلام والحال حال والكلام كلام

في هذا السياق لا يخفى تبرّم الشاعر مم الحرب وما تخلّفه من ويلات، فهنا أخذ يفرّق بين الكلام والحرب ولهذا قرن كلمة "اللظى" باللفظ كي يصرّح بأنّ الكلام مع الحرب لا جدوى له ولكن الكلام بالرفق والعطوفة يؤدّي إلى السلام. لا يخفى أنّ حياة الشاعر النضالية وويلات الحرب أثّرت عليه ولهذا يدعو إلى الابتعاد من الحرب وعدم الخوض فيها ما استطاعوا سبيلاً إلى ذلك. وقد استخدم لفظة اللظي الدالة على النار للدلالة على الحرب المدمّرة بصورايخها ودباباتها ورميها المحرق. يستطرد الشاعر كلامه حول النار وطاقتها في تخريب البلد كالتالي:

قم بنا من قبل أن يعصف خاطر لا أب لي إما

قم بنا من قبل أن ينتابني هاجس يوغر نفسي

(١) بلاوي، رسول؛ مرضيه آباد، «ملامح المقاومة في شعر يحيى السماوي»، آفاق الحضارة الإسلامية (أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية)، العدد الأوّل، (١٤٣٥ق)، (ص٣٣).

(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٣٥).

فبلادي في أسى محتـــدم ليتني أدفع عنها الكربا
وبلادي في جحيم مطبـــق تصطلي النار وتلقـــى

الشاعر يستخدم كلمة "النار" مع حشد من الكلمات كـــــــــ"العصف والهـــاجس والغضب والأسى والكرب والجحيم والصلي" التي تلقي معنى الويل والنكبة؛ فحشد الشاعر لهذه الكلمات مع كلمة النار وهب لمفردة النار دلالات حربيّة مدمّرة. نـــرى تأثير الحرب في كلّ زاوية من حياة الشاعر لأنّ الشاعر رأى مـــن قريـــب «كـــلّ صنوف القهر والعذاب والممارسات الوحشية والإجرامية، وتعرّض لانتهاك الحـــقّ في الحياة، والقتل المعتمد وقتل الأطفال الأبرياء وطلبة المدارس والجامعات، وحتّى الأجنّة في بطون أمهاتها لم ترحمها رصاصات الكيان الصهيوني»[٢]. فعبـــدالرحيم يستعين بـــ"النار" حتّى يظهر بأنّ الشعب الفلسطيني يستخدم النار للتنوير والاهتداء بدل الحرب والقتل كما يشير في هذا الأبيات:

نحن لم نحمل السيوف بـــل لإحقـــاق ضـــائع
نحن لم نحمل المشـــاعل ق ولكـــــن للهـــــدي
نحن لم نطعن الضـــمير بقنانا احتمـــى طعـــين

إنّ الشاعر عبر لفظة "النار" يريد أن يظهر براءتهم وعـــدم ابتغـــائهم الحـــرب فالشعب الفلسطيني شعب مسالم ومحايد ويبحث عن النور للخـــروج مـــن ظلمـــات المحتل. كرّر عبدالرحيم في هذه الأبيات لفظة «نحن» في مستهلّ الأبيـــات ليرســـم للمتلقي نفسيّة الشعب الأبيّة والثوريّة التي لم تخضع لأي ظلم وتدلّ على اتحـــادهم وتكاتفهم الجماعي. وهكذا يريد الشاعر أن يثبت لنا من خلاله وجوده والتحامه مع

(١) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٩٦).
(٢) ناهض محمود إبراهيم محسن، شخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامة-غزة، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، قسم اللغة العربية، (٢٠٠٥م)، (ص ٢٥).
(٣) . محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٤٢).

الجماعة وشعبه، وهو ما يضمّن بقاءه، ويريد إبلاغ صوته ونداءه الجارح إلى العالم، فالشعب يريد السلام لا النار والحرب. إنّ محمود يستعمل لفظ "النار" في معنى الحرب ١٨ مرة، أكثر من باقي المعاني وهذا يدلّ على الأجواء والظروف التي عايشها الشاعر.

الحزن

إنّ الحزن يأتي إثر الحوادث والمشاكل المختلفة التي لا يترقّبها الإنسان في حياته. للحزن أسباب لا تخفى على الانسان منها الحزن على فقد الأحبة أو الحزن على تدهور الوطن واستلابه. وقد يكون الحزن أشدّ مضاضة ووطأة على نفس المواطن لاسيّما إذا كان شاعراً ومرهف الإحساس فالشعراء الفلسطينيون عندما رأووا احتلال بلادهم وتشرذمها أخذوا بتنديد المحتليّن وسياساتهم الخبيثة عبر شعرهم ولم يقصّروا في التعبير عن حزنهم وتبرّمهم من الاحتلال والحطّ من شأنه، فـ«في الواقع تعدّ محنة فلسطين أوّل محنة كشفت تآمر الغرب الصليبي مع الصهيونة العالمية لجعل هذا الكيان المصطنع شوكة في قلب الأمة العربية»[١]. وهذه القضية المخزيّة تعدّ بحد ذاتها خيبة تركت أثراً حزيناً لدى المواطنين.

عندما يريد الشعراء أن يعبّروا عن خلجات نفوسهم وأحزانهم يستخدمون ألفاظاً تشي بالحزن والأسى وقد استعان عبدالرحيم في هذا الصدد بلفظة النار لكثرة قدرتها وطاقتها في تجسيد الحزن كما جاء في الأبيات التالية:

وا حبيب الأمتا قد أصبح ـش من بعدك لي جدّ نكيد
جمد الدمع بعيني جزعاً يا لنار القلب من دمعي
فأذبت الروح أبكيك بها بدل الدمع فسالت في

(١) الشادي، صالح، هواجس الوحدة، (ط١) عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، (٢٠١٠)، (ص١١).
(٢) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (٤٠).

إنّ الشاعر في هذه الأبيات يريد عن طريق لفظ "النار" أن يبيّن ما يدور في قلبه من الأحزان بسبب الحرب والخناق وإراقة الدم في بلده الأعزل وقد إستمدّ من قدرة النار وطاقتها الدلاليّة ليعبّر عن حزنه، وقد أضاف النار للقلب ليدلّ على شدّة حزنه واشتعاله. سياق النص كله يوحي بالحزن والألم والضجر، حيث بدأ هذه الأبيات بالتضجّر (وا حبيب الأمتا) وأخذ يلحّ على معجم لغوي حزين وعبارات تشي بتراكم الهمّ والغم. يستطرد عبد الرحيم وصف بلاده وأجواء الحزن الذي يسيطر عليه هكذا:

هناك الدموع هناك هناك القنوط هناك
أ في العيد شيء يسرّ ويأتي إليها بما قد تودّ؟
وإن كان... ما نعمة لا فتوري نار القلا
وما فرحة مثل ومض وليست تدوم دوام

إنّ الشاعر يستهلّ الأبيات بمجموعة من الألفاظ التي تأتي إثر الحزن مثل "الدموع، الأنين، القنوط، الكمد" لكي يبيّن شدّة حزنه الذي يسيطر عليه وقد اشتدّت زوبعة هذا الحزن عندما استخدم عبدالرحيم لفظ "النار" فعندما تأتي هذه الكلمة تهدّم أركان كلّ شيء لاسيّما هذا الشاعر الذي عاش تحت نار الصواريخ ولم يغادر بلده. ألحّ الشاعر في البيت الأوّل على تكرار الظرف المكاني المعادل للوطن (هناك) بشكل أفقي وفي كل تكرار يجعل هذا الظرف معادلاً موضوعيّاً للحزن فتارة الدموع، وتارة الأنين، وتارة القنوط وتارة الكمد. وتبقى هذه النبرة الحزينة تتصاعد حتى تصل إلى النار وما تحمله من دلالات حزينة في هذا السياق.

بما أنّ هذا البحث لا يسع التطبيق لجميع مصاديق التطوّر الدلالي للفظ "النار"، والذي قمنا باحصائه ودراسته كان نماذج قليلة مستلّة من الديوان، فرأينا أن نلحق جدولاً إحصائيّاً عن التطوّر الدلالي الإيجابي والسلبي لكلمة "النار" في ديوان عبدالرحيم لنطّلع على مدى استخدام الشاعر واهتمامه لها، ومدى سعتها للنقاش.

(١) محمود، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (١٠٨).

والجدول الآتي يبيّن لنا هذا الأمر:

دلالة النار	عدد التواتر	رقم الصفحة	النسبة المئوية
القدرة والشجاعة	٦	٣٧-٣٨-٦٤-٧٩-٨٣-١٦٧	%١٣
الحبّ والشوق إلى الوطن	٨	٥٥-٥٥-٥٥-١٣٨-١٣٩-١٤٣-١٤٣-١٤٨	%٢١
الحرب	١٨	٣٣-٣٥-٣٩-٤٢-٤٤-٥٠-٥١-٥٧-٦٣-٧٧-٧٨-٧٩-٨٩-٩٦-١٠٩-١٢٥-١٢٨-١٣٠	%٤٧
الحزن	٧	٤٠-٦٨-١٠٨-١٠٨-١٣٠-١٤٨-١٥٦	%١٨
المجموع	٣٨	كلّ الديوان	%١٠٠

إنّ هذا الجدول في الواقع يعطي رؤية عامّة لمن يريد الإلمام بالموضوع والنقاش فيه. إنّ الشاعر استخدم لفظ "النار" لبيان اشمئزازه وعدم رغبته في الحرب والحوادث التي تعقبها أكثر من باقي الدلالات وإنّ الدلالات السلبية تحتلّ المرتبة الأولى، وهذا يدلّ على الظروف الصعبة التي عايشها عبدالرحيم، فقد رأى أنسب وأقوى كلمة لإظهار حزنه وعدم ابتغاءه للحرب هي كلمة "النار".

خاتمة البحث

لقد توصّلنا في هذا البحث إلى النتائج التالية:

إنّ حياة عبد الرحيم الشخصية كيتمه وحضوره الدائم في الحرب وشوقه إلى الوطن أثّرت على دلالات كلمة النار. وثانياً: إنّ كلمة "النار" في شعر عبد الرحيم لها دلالات إيجابية وسلبية مثل: الشجاعة، الحب والشوق إلى الوطن، الحرب وويلاتها، الحزن الفاتك.

إنّ عبدالرحيم عمد إلى الاستخدام الموسّع لكلمة "النار" من حيث العدد ومن حيث الدلالة، وأدخلها في بنية لغويّة تحتضن المجاز والرمز وتنمّيهما. فأصبحت متداولة في معجمه الشعري، وأخذت تدلّ على عدّة مفاهيم بعضها إيجابيّة وأخرى سلبيّة.

إنّ رؤية الشاعر الإيجابية الخاصّة "بالنار" تمحورت داخل الأقطاب التالية: الاجتهاد والشجاعة، الحبّ والشوق إلى الوطن الحبيب.

قام الشاعر بتوظيف دالّ "النار" توظيفاً رمزيّاً سلبيّاً يقابل الوجه الأوّل؛ حيث ترد قوّة النار عنده لتجسيد الحرب وويلاتها والحزن من أجل وطنه.

إنّ محمود استخدم لفظ "النار" في معنى الحرب أكثر من باقي المعاني، وهذا يدلّ على تأثير الحرب عليه وعلى حياته الشخصية، وهكذا رفضه وعدم ابتغاءه لهذه المنحوسة.

كما أنّ عبدالرحيم استعان بلفظ "النار" للدلالة السلبية ٢٥ مرّة وهذا يدلّ على الحياة الصعبة التي عاشها الشاعر فقد استخدم لفظة النار لإظهار ما في نفسه من الحزن والهمّ.

المصادر والمراجع

١. ابن رمضان، فيروز، الغربة والحنين في شعر سليمان عازم، رسالة لنيل شهادة ماجستير في تخصص الأدب الشعبي، جامعة الجزائر، كليّة الآداب واللغات، قسم اللغة العربيّة وآدابها، (٢٠٠٥م).

٢. أبوشمّالة، فايز صالح، على صهوة الشعر مع الشاعر الفارس الشهيد عبدالرحيم محمود، لا ط، خانيونس التجاريّة، (٢٠٠٣م).

٣. أبو مازن، محمد عبدالقادر، شهداء فلسطين، (ط١)، عمان الأردن: دار الفرقان، (١٩٩٠م).

٤. بشلار، غاستون، النار في التحليل النفسي؛ ترجمة نهاد خياطة، (ط١)، بيروت: دار الأندلس، (١٩٨٤م).

٥. بلاوي، رسول؛ مرضيه آباد، «ملامح المقاومة في شعر يحيى السماوي»، آفاق الحضارة الإسلامية (أكاديمية العلوم الإنسانية والدراسات الثقافية)، العدد الأوّل، (١٤٣٥ق)، صص ١٩-٤٩.

٦. جبل، عبد الكريم محمّد حسن، في علم الدلالة دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات، لا ط، دار الجامعية، (١٩٩٧).

٧. جميل عابد، حنان، الصيغ الصرفيّة ودلالاتها في ديوان عبدالرحيم محمود، دراسة وصفية متطلب تكميلي لنيل درجة ماجستير في العلوم اللغويّة، جامعة الأزهر-غزة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللغة العربية-العلوم اللغوية، (٢٠١١م).

٨. سعيد، جميل، مأساة فلسطين وأثرها في الشعر المعاصر، بحث مقدّم إلى مؤتمر الأدباء العرب الخامس، بغداد، (١٩٦٥م).

٩. الشادي، صالح، هواجس الوحدة، (ط١) عمان: دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، (٢٠١٠).

١٠. ضيغمي، علي وآخرون، «ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر الربيع بوشامة»، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها (فصلية محكمة)، العدد الواحد والثلاثون، (٢٠١٤م).
١١. عيسى، فوزي، رانيا فوزي عيسى، علم الدلالة النظرية والتطبيق، (ط ١)، الإسكندرية: دار المعرفة، (٢٠٠٨م).
١٢. الفيروز آبادي، مجد الدين محمّد بن يعقوب، قاموس المحيط: تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمّد نعيم العرقسوسي، (ط ٩)، بيروت: مؤسسة الرسالة، (٢٠٠٥م).
١٣. قبّاني، نزار، الشعر قنديل أخضر، (ط٢)، بيروت: منشورات المكتب التجاري، (١٩٦٤م).
١٤. قميحة، جابر، الشاعر الفلسطيني الشهيد عبدالرحيم محمود: ملحمة الكلمة والدم، (ط١)، القاهرة: كلية الألسن-جامعة عين الشمس، (١٩٨٦م).
١٥. محفوظ، محمّد، الواقع العربي وتحديات المرحلة الراهنة، (لا ط)، بيروت: دار الشرق الثقافة، (٢٠٠٣م).
١٦. محمد قدور، أحمد، مبادئ اللسانيات، (ط ٣)، دمشق: دار الفكر، (٢٠٠٨م).
١٧. محمود، عبد الرحيم، الأعمال الكاملة للشاعر الشهيد عبدالرحيم محمود، (ط١)، دمشق: دار الجليل للطباعة والنشر والتوزيع، (١٩٨٨م).
١٨. ناهض محمود إبراهيم محسن، شخصية الإسلامية في الشعر الفلسطيني، قدمت هذه الدراسة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في الأدب والنقد، الجامعة الإسلامة-غزة، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية بغزة، قسم اللغة العربية، (٢٠٠٥م).